كتاب موسى المفقود - الجزء السّادس.

بحث وإعداد: ميرنا جردلي.

تدقيق وإشراف: الأستاذ موّفّق البغداديّ

وبعد أن ذكرنا ما سبق من الأنبياءِ والرسلِ ننتقل بالسرد بتوسع أكثر في سيرة موسى عليه السلامُ والكتاب الذي أنزل له من ربه.

سورة الأعرافِ: قَالَ يَٰمُوسَىٰٓ إِنِّى ٱصْطَفَيْتُكَ عَلَى ٱلنَّاسِ بِرِسَٰلَٰتِى وَبِكَلَٰمِى فَخُذْ مَآ ءَاتَيْتُكَ وَكُن مِّنَ ٱلشَّٰكِرِينَ ﴿١٤٤﴾.

سورة القصصِ: وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا مُوسَى ٱلْكِتَٰبَ مِنۢ بَعْدِ مَآ أَهْلَكْنَا ٱلْقُرُونَ ٱلْأُولَىٰ بَصَآئِرَ لِلنَّاسِ وَهُدًى وَرَحْمَةً لَّعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ ﴿٤٣﴾.

سورة البقرةِ: وَإِذْ ءَاتَيْنَا مُوسَى ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْفُرْقَانَ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ ﴿٥٣﴾.

سورة البقرةِ: وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا مُوسَى ٱلْكِتَٰبَ وَقَفَّيْنَا مِنۢ بَعْدِهِۦ بِٱلرُّسُلِ وَءَاتَيْنَا عِيسَى ٱبْنَ مَرْيَمَ ٱلْبَيِّنَٰتِ وَأَيَّدْنَٰهُ بِرُوحِ ٱلْقُدُسِ أَفَكُلَّمَا جَآءَكُمْ رَسُولٌۢ بِمَا لَا تَهْوَىٰٓ أَنفُسُكُمُ ٱسْتَكْبَرْتُمْ فَفَرِيقًا كَذَّبْتُمْ وَفَرِيقًا تَقْتُلُونَ ﴿٨٧﴾.

سورة الأنعامِ: وَمَا قَدَرُوا۟ ٱللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِۦٓ إِذْ قَالُوا۟ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ عَلَىٰ بَشَرٍ مِّن شَىْءٍ قُلْ مَنْ أَنزَلَ ٱلْكِتَٰبَ ٱلَّذِى جَآءَ بِهِۦ مُوسَىٰ نُورًا وَهُدًى لِّلنَّاسِ تَجْعَلُونَهُۥ قَرَاطِيسَ تُبْدُونَهَا وَتُخْفُونَ كَثِيرًا وَعُلِّمْتُم مَّا لَمْ تَعْلَمُوٓا۟ أَنتُمْ وَلَآ ءَابَآؤُكُمْ قُلِ ٱللَّهُ ثُمَّ ذَرْهُمْ فِى خَوْضِهِمْ يَلْعَبُونَ ﴿٩١﴾.

سورة هودٍ: أَفَمَن كَانَ عَلَىٰ بَيِّنَةٍ مِّن رَّبِّهِۦ وَيَتْلُوهُ شَاهِدٌ مِّنْهُ وَمِن قَبْلِهِۦ كِتَٰبُ مُوسَىٰٓ إِمَامًا وَرَحْمَةً أُو۟لَٰٓئِكَ يُؤْمِنُونَ بِهِۦ وَمَن يَكْفُرْ بِهِۦ مِنَ ٱلْأَحْزَابِ فَٱلنَّارُ مَوْعِدُهُۥ فَلَا تَكُ فِى مِرْيَةٍ مِّنْهُ إِنَّهُ ٱلْحَقُّ مِن رَّبِّكَ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يُؤْمِنُونَ ﴿١٧﴾.

واضح من الآية السابقة الأخيرة أن الشاهدَ هو من بني إسرائيلَ الذي لديه كتاب موسى عليه السلامُ ويعرفه تمامًا لا بل ويتلوه بمعنى أنه بين يديه وإن كان مخفيّ، فسيشهد هذا الشاهد على كتاب محمدٍ عليه الصلاةُ والسلامُ لأنه مصدقٌ لكتاب موسى عليه السلامُ الذي لديه.

سورة السّجدةِ: وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا مُوسَى ٱلْكِتَٰبَ فَلَا تَكُن فِى مِرْيَةٍ مِّن لِّقَآئِهِۦ وَجَعَلْنَٰهُ هُدًى لِّبَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ ﴿٢٣﴾.

وفي الآية السابقة أصبح واضحًا لنا أن الله عز وجل قد وعد محمدًا عليه الصلاةُ والسلامُ بلقاء كتاب موسى عليه السلامُ، حيث أنه كان حينها موجودٌ ولكن بنو إسرائيلَ وكما علمنا سابقًا فقد أخفوه، وهذا الطرح يخالف الطرح الموجود في التفاسير حيث قالوا إن محمدًا عليه الصلاةُ والسلامُ سيلقى موسى عليه السلامُ في حادثة المعراجِ وهذا محض ظنّ وخاطئ كليًّا.

سورة هودٍ: وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا مُوسَى ٱلْكِتَٰبَ فَٱخْتُلِفَ فِيهِ وَلَوْلَا كَلِمَةٌ سَبَقَتْ مِن رَّبِّكَ لَقُضِىَ بَيْنَهُمْ وَإِنَّهُمْ لَفِى شَكٍّ مِّنْهُ مُرِيبٍ ﴿١١٠﴾.

وتكررت نفس الآية حرفيًا **في سورة فصّلتِ: وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا مُوسَى ٱلْكِتَٰبَ فَٱخْتُلِفَ فِيهِ وَلَوْلَا كَلِمَةٌ سَبَقَتْ مِن رَّبِّكَ لَقُضِىَ بَيْنَهُمْ وَإِنَّهُمْ لَفِى شَكٍّ مِّنْهُ مُرِيبٍ ﴿٤٥﴾.**

سورة الإسراءِ: وَءَاتَيْنَا مُوسَى ٱلْكِتَٰبَ وَجَعَلْنَٰهُ هُدًى لِّبَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ أَلَّا تَتَّخِذُوا۟ مِن دُونِى وَكِيلًا ﴿٢﴾.

سورة المؤمنونِ: وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا مُوسَى ٱلْكِتَٰبَ لَعَلَّهُمْ يَهْتَدُونَ ﴿٤٩﴾.

سورة الفرقانِ: وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا مُوسَى ٱلْكِتَٰبَ وَجَعَلْنَا مَعَهُۥٓ أَخَاهُ هَٰرُونَ وَزِيرًا ﴿٣٥﴾.

سورة الأحقافِ: وَمِن قَبْلِهِۦ كِتَٰبُ مُوسَىٰٓ إِمَامًا وَرَحْمَةً وَهَٰذَا كِتَٰبٌ مُّصَدِّقٌ لِّسَانًا عَرَبِيًّا لِّيُنذِرَ ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ وَبُشْرَىٰ لِلْمُحْسِنِينَ ﴿١٢﴾.

سورة العنكبوتِ: وَلَا تُجَٰدِلُوٓاْ أَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ إِلَّا بِٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ إِلَّا ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ مِنْهُمْ وَقُولُوٓاْ ءَامَنَّا بِٱلَّذِىٓ أُنزِلَ إِلَيْنَا وَأُنزِلَ إِلَيْكُمْ وَإِلَٰهُنَا وَإِلَٰهُكُمْ وَٰحِدٌ وَنَحْنُ لَهُۥ مُسْلِمُونَ ﴿٤٦﴾.

سورة الصّافاتِ: وَلَقَدْ مَنَنَّا عَلَىٰ مُوسَىٰ وَهَٰرُونَ ﴿١١٤﴾ وَءَاتَيْنَٰهُمَا ٱلْكِتَٰبَ ٱلْمُسْتَبِينَ ﴿١١٧﴾.

سورة الأنعامِ: ثُمَّ ءَاتَيْنَا مُوسَى ٱلْكِتَٰبَ تَمَامًا عَلَى ٱلَّذِىٓ أَحْسَنَ وَتَفْصِيلًا لِّكُلِّ شَىْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً لَّعَلَّهُم بِلِقَآءِ رَبِّهِمْ يُؤْمِنُونَ ﴿١٥٤﴾.

ومن هذه الآيات السابقة يتضح لنا بما لا يدع مجالًا للشك أن موسى عليه السلامُ أُنزل إليه الكتابُ وعند تدبر القرءانِ نستنتج أن جميع الرسلِ الذين جاؤوا من بعد موسى عليهم السلامُ لم ينزّل عليهم الكتابُ وإنما أوتوه أو ورثوه إلى أن جاء محمدٌ عليه الصلاةُ والسلامُ ولذلك فقد نُسب كتاب موسى لموسى عليه السلامُ فقط، وهنا أصبح من الواضح معنى قول الجنّ في **سورة الأحقافِ: وَإِذْ صَرَفْنَآ إِلَيْكَ نَفَرًا مِّنَ ٱلْجِنِّ يَسْتَمِعُونَ ٱلْقُرْءَانَ فَلَمَّا حَضَرُوهُ قَالُوٓاْ أَنصِتُواْ فَلَمَّا قُضِىَ وَلَّوْاْ إِلَىٰ قَوْمِهِم مُّنذِرِينَ ﴿٢٩﴾ قَالُواْ يَٰقَوْمَنَآ إِنَّا سَمِعْنَا كِتَٰبًا أُنزِلَ مِنۢ بَعْدِ مُوسَىٰ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ يَهْدِىٓ إِلَى ٱلْحَقِّ وَإِلَىٰ طَرِيقٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴿٣٠﴾.**

وهذا يجيب الآن عن تساؤلنا والدافع الذي جعلني أبدأ هذا البحث.

ونكمل في الآية التالية التي ستأخذنا لمواضيع أكبر وأعمق.

سورة غافرِ: وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا مُوسَى ٱلْهُدَىٰ وَأَوْرَثْنَا بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ ٱلْكِتَٰبَ ﴿٥٣﴾.

ومن هنا نبدأ بمصطلح أهل الكتابِ.

أهل الكتابِ:

الأهل هم مجموعةٌ يجمعهم شيءٌ واحدٌ كالبيت مثلًا، وهو منسوبٌ لهم، تملّكوه أو لا، ماديًّا كان أو معنوي، بمعنى أنهم مصاحبين لبعض ولهذا الشيء المنسوب لهم، ونقول مثلا عندما نرحب بضيفٍ أهلًا وسهلًا أو حللتَ أهلاً ونزلتَ سهلاً أي أنك أصبحت بمثابة أحد أفراد هذه المجموعة الذين يجمعهم هذا البيتُ، وهنا سأعود بكم مرةً ثانيةً لإبراهيمَ عليه السّلام هذا النبي العظيم الذي ذكرنا منزلته سابقًا عن كونه إمامًا وأبو الأنبياءِ وأنه أمّةٌ بذاتهِ وأنّ جميع من بعده ومنهم محمدٌ عليه السّلام مأمورون باتباع ملّتهِ وأنه أسوةٌ لنا جميعًا، وكل ذلك بسبب اصطفاء الله له ونزول الكتابِ عليه، وأيضًا لا بد أن نلاحظ أنه استحق توصيفه بأنّه من أهل البيتِ، ففي **سورة هودٍ: وَلَقَدْ جَآءَتْ رُسُلُنَآ إِبْرَٰهِيمَ بِٱلْبُشْرَىٰ قَالُواْ سَلَٰمًا قَالَ سَلَٰمٌ فَمَا لَبِثَ أَن جَآءَ بِعِجْلٍ حَنِيذٍ ﴿٦٩﴾... إلى الآية:**

قَالَتْ يَٰوَيْلَتَىٰٓ ءَأَلِدُ وَأَنَا۠ عَجُوزٌ وَهَٰذَا بَعْلِى شَيْخًا إِنَّ هَٰذَا لَشَىْءٌ عَجِيبٌ ﴿٧٢﴾ قَالُوٓاْ أَتَعْجَبِينَ مِنْ أَمْرِ ٱللَّهِ رَحْمَتُ ٱللَّهِ وَبَرَكَٰتُهُۥ عَلَيْكُمْ أَهْلَ ٱلْبَيْتِ إِنَّهُۥ حَمِيدٌ مَّجِيدٌ ﴿٧٣﴾.

نلاحظ هنا وكون إبراهيمَ عليه السلامُ هو أول من رفع القواعدَ من البيتِ، من البشرِ، فأصبح هو وزوجه ومن كان معه، من أهل هذا البيتِ العظيم وذلك بسبب هذه المنزلة العظيمة التي أنعم الله بها عليه.

سورة البقرةِ: وَإِذْ يَرْفَعُ إِبْرَٰهِۦمُ ٱلْقَوَاعِدَ مِنَ ٱلْبَيْتِ وَإِسْمَٰعِيلُ رَبَّنَا تَقَبَّلْ مِنَّآ إِنَّكَ أَنتَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ ﴿١٢٧﴾.

هذا أيضًا، تأكيد أن من رفع القواعدَ مع إبراهيمَ هو ابنه إسماعيل، حيث لقّبوا بأهل البيتِ بعد رفع قواعده ثمّ جاءته البشرى بمولودٍ جديدٍ والذي هو إسحاقُ.

ومن هنا نستنتج أنه أيضًا عندما ينزَّل الكتابُ على نبيٍّ يكون هذا النبيُّ ومن كان معه حينها ممن تبعه، من أهل الكتابِ، لأنهم حينها يكونوا أول من تحصلوا عليه في زمانهم، فينسب لهم.

سورة الممتحنةِ: قَدْ كَانَتْ لَكُمْ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ فِيٓ إِبْرَٰهِيمَ وَٱلَّذِينَ مَعَهُۥٓ إِذْ قَالُواْ لِقَوْمِهِمْ إِنَّا بُرَءَٰٓؤُاْ مِنكُمْ وَمِمَّا تَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ كَفَرْنَا بِكُمْ وَبَدَا بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمُ ٱلْعَدَٰوَةُ وَٱلْبَغْضَآءُ أَبَدًا حَتَّىٰ تُؤْمِنُواْ بِٱللَّهِ وَحْدَهُۥٓ إِلَّا قَوْلَ إِبْرَٰهِيمَ لِأَبِيهِ لَأَسْتَغْفِرَنَّ لَكَ وَمَآ أَمْلِكُ لَكَ مِنَ ٱللَّهِ مِن شَىْءٍ رَّبَّنَا عَلَيْكَ تَوَكَّلْنَا وَإِلَيْكَ أَنَبْنَا وَإِلَيْكَ ٱلْمَصِيرُ ﴿٤﴾.

ففي الآية السابقة، من كانوا مع إبراهيمَ حينما نزل عليه الكتابُ هم أيضًا من أهل الكتابِ ولكنهم ليسوا من أهل البيت بطبيعة الحال لأنهم لم يكونوا معه حين رفع القواعد من البيت، وكذلك ذرياتهم ممن بقي منها فهم أيضا من أهل الكتاب ولغاية بعثة موسى عليه السلامُ والذي أصبح هو ومن كان معه وتبعه حينها من أهل الكتابِ حين أنزله الله وكذلك ذرياتهم.

ولكون بنو إسرائيلَ هم من كانوا مع موسى عليه السلام واتبعوه آنذاك فقد أخذوا هذه الصفة وهذا التشريف فأصبحوا أيضًا من أهل الكتابِ هم وذرياتهم، وكذلك أيضًا، فحينما آتى الله الإنجيلَ لعيسى عليه السّلامَ أصبح هنالك توصيفٌ آخرٌ لعيسى عليه السلامُ ولقومه من بني إسرائيلَ ممن كانوا معه حينها واتبعوه، وهو أهل الإنجيلِ، ولا بدّ لتّنويه هنا، أن كل من نزل له الكتابُ وحتى زمن موسى عليه السلامُ فهم أيضًا يسمون أهل الكتابِ هم وذرياتهم، بينما هذه التسمية لم تعطى لمن أوتي أو ورث الكتابَ إلا إن كان أصلا من ذرية من كان من أهل الكتابِ حين تم تنزيله، وكذلك الأمر بالنسبة للذِّكرِ وتسمية أهل الذكرِ وسنتوقف لاحقًا عند هذا الموضوع الهام جدًا بإذن الله.

ولنفهم هذا الشرح نقول لو أن شخصًا وصله كتاب موسى ولكنه لم يكن مع موسى أو ليس من ذرية موسى عليه السلامُ أو من ذرية من كانوا معه، فلا يعدّ من أهل الكتابِ وإنما من الذين أوتوا الكتابَ أو ورثوه.

ونقيس على ذلك تسمية أهل البيتِ، فقد بدأت هذه التسمية مع إبراهيمَ عليه السلامُ وبقيت حتى محمدٍ عليه الصلاةُ والسلامُ وإلى الآن ممن هم من ذرية إبراهيمَ.

سورة الأحزاب: وَقَرْنَ فِى بُيُوتِكُنَّ وَلَا تَبَرَّجْنَ تَبَرُّجَ ٱلْجَٰهِلِيَّةِ ٱلْأُولَىٰ وَأَقِمْنَ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتِينَ ٱلزَّكَوٰةَ وَأَطِعْنَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥٓ إِنَّمَا يُرِيدُ ٱللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنكُمُ ٱلرِّجْسَ أَهْلَ ٱلْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا ﴿٣٣﴾.

ولا يشترط لأي توصيفٍ إن كان لأهل البيتِ أو أهل الكتابِ أو أهل الإنجيلِ أو أهل الذكرِ وغيرهم، أن يكونوا جميعًا أو دائما من الممدوحين، فكما رأينا كيف أنّ الله ذمّ الكثير من أهل الكتابِ سنجد نفس الشيء في جميع وباقي التوصيفات المرتبطة بالمفردة "أهل"، مثل ذرية أهل البيتِ، فمثلا أبو لهبَ من ذرية إبراهيمَ ومن أهل البيتِ ولكن نعلم جميعًا مصيره، وتؤكد ذلك **سورة البقرةِ: وَإِذِ ٱبْتَلَىٰٓ إِبْرَٰهِـۧمَ رَبُّهُۥ بِكَلِمَٰتٍ فَأَتَمَّهُنَّ قَالَ إِنِّى جَاعِلُكَ لِلنَّاسِ إِمَامًا قَالَ وَمِن ذُرِّيَّتِى قَالَ لَا يَنَالُ عَهْدِى ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿١٢٤﴾.**

والآن لنعود أدراجنا، فبعد أن فهمنا مصطلح أهل الكتابِ فنبدأ من أول خطابٍ من الله عزّ وجلّ لبني إسرائيلَ.

سورة البقرةِ: يَٰبَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ ٱذْكُرُوا۟ نِعْمَتِىَ ٱلَّتِىٓ أَنْعَمْتُ عَلَيْكُمْ وَأَوْفُوا۟ بِعَهْدِىٓ أُوفِ بِعَهْدِكُمْ وَإِيَّٰىَ فَٱرْهَبُونِ ﴿٤٠﴾ وَءَامِنُوا۟ بِمَآ أَنزَلْتُ مُصَدِّقًا لِّمَا مَعَكُمْ وَلَا تَكُونُوٓا۟ أَوَّلَ كَافِرٍۭ بِهِۦ وَلَا تَشْتَرُوا۟ بِـَٔايَٰتِى ثَمَنًا قَلِيلًا وَإِيَّٰىَ فَٱتَّقُونِ ﴿٤١﴾ وَلَا تَلْبِسُوا۟ ٱلْحَقَّ بِٱلْبَٰطِلِ وَتَكْتُمُوا۟ ٱلْحَقَّ وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿٤٢﴾ وَأَقِيمُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتُوا۟ ٱلزَّكَوٰةَ وَٱرْكَعُوا۟ مَعَ ٱلرَّٰكِعِينَ ﴿٤٣﴾ أَتَأْمُرُونَ ٱلنَّاسَ بِٱلْبِرِّ وَتَنسَوْنَ أَنفُسَكُمْ وَأَنتُمْ تَتْلُونَ ٱلْكِتَٰبَ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴿٤٤﴾ وَٱسْتَعِينُوا۟ بِٱلصَّبْرِ وَٱلصَّلَوٰةِ وَإِنَّهَا لَكَبِيرَةٌ إِلَّا عَلَى ٱلْخَٰشِعِينَ ﴿٤٥﴾.

سورة البقرةِ: وَإِذْ ءَاتَيْنَا مُوسَى ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْفُرْقَانَ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ ﴿٥٣﴾.

مع نزول الكتابِ لموسى عليه السلامُ وبعد حادثة عبادتهم للعجلِ فقد أخذ الله من بني إسرائيلَ ميثاقًا حيث نجد في **سورة البقرةِ: وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَٰقَكُمْ وَرَفَعْنَا فَوْقَكُمُ ٱلطُّورَ خُذُوا۟ مَآ ءَاتَيْنَٰكُم بِقُوَّةٍ وَٱذْكُرُوا۟ مَا فِيهِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴿٦٣﴾.**

سورة المائدةِ: لَقَدْ أَخَذْنَا مِيثَٰقَ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ وَأَرْسَلْنَآ إِلَيْهِمْ رُسُلًا كُلَّمَا جَآءَهُمْ رَسُولٌۢ بِمَا لَا تَهْوَىٰٓ أَنفُسُهُمْ فَرِيقًا كَذَّبُوا۟ وَفَرِيقًا يَقْتُلُونَ ﴿٧٠﴾.

سورة البقرةِ: وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَٰقَ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ لَا تَعْبُدُونَ إِلَّا ٱللَّهَ وَبِٱلْوَٰلِدَيْنِ إِحْسَانًا وَذِى ٱلْقُرْبَىٰ وَٱلْيَتَٰمَىٰ وَٱلْمَسَٰكِينِ وَقُولُوا۟ لِلنَّاسِ حُسْنًا وَأَقِيمُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتُوا۟ ٱلزَّكَوٰةَ ثُمَّ تَوَلَّيْتُمْ إِلَّا قَلِيلًا مِّنكُمْ وَأَنتُم مُّعْرِضُونَ ﴿٨٣﴾.

ومع ذلك ضربوا بعهدِ الله وميثاقه عرض الحائطِ وكأن لم يكن، وهذا ليس بغريبٍ عليهم فهو حالهم دائما وحتى الآن.

سورة البقرةِ: ثُمَّ أَنتُمْ هَٰٓؤُلَآءِ تَقْتُلُونَ أَنفُسَكُمْ وَتُخْرِجُونَ فَرِيقًا مِّنكُم مِّن دِيَارِهِمْ تَظَٰهَرُونَ عَلَيْهِم بِٱلْإِثْمِ وَٱلْعُدْوَٰنِ وَإِن يَأْتُوكُمْ أُسَٰرَىٰ تُفَٰدُوهُمْ وَهُوَ مُحَرَّمٌ عَلَيْكُمْ إِخْرَاجُهُمْ ۚ أَفَتُؤْمِنُونَ بِبَعْضِ ٱلْكِتَٰبِ وَتَكْفُرُونَ بِبَعْضٍ ۚ فَمَا جَزَآءُ مَن يَفْعَلُ ذَٰلِكَ مِنكُمْ إِلَّا خِزْىٌ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا ۖ وَيَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ يُرَدُّونَ إِلَىٰٓ أَشَدِّ ٱلْعَذَابِ ۗ وَمَا ٱللَّهُ بِغَٰفِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ ﴿٨٥﴾.

سورة البقرةِ: وَلَمَّا جَآءَهُمْ كِتَٰبٌ مِّنْ عِندِ ٱللَّهِ مُصَدِّقٌ لِّمَا مَعَهُمْ وَكَانُوا۟ مِن قَبْلُ يَسْتَفْتِحُونَ عَلَى ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ فَلَمَّا جَآءَهُم مَّا عَرَفُوا۟ كَفَرُوا۟ بِهِۦ فَلَعْنَةُ ٱللَّهِ عَلَى ٱلْكَٰفِرِينَ ﴿٨٩﴾.

إذن واضح من الآيات السابقة خبث بني إسرائيلَ على مدار الزمانِ وأنهم كانوا دائمًا ما يتآمرون على الناسِ ويعارضون رسلهم فيخالفونهم حينًا لا وبل يقتلونهم أحيانًا، مع أن الله فضلهم على العالمين بهذا الكتابِ العظيمِ الذي نزل لنبيهم موسى عليه السّلام، وتوالت الرسلُ والأنبياءُ عليهم وفيهم لآلاف السنواتِ وبقي هذا الكتابُ معهم ومنسوب لهم، ومع ذلك فقد أخفوه وحرفوه واحتكروه لأنفسهم ونبذوه وراء ظهورهم علما أن الله كان قد كرّمهم أيضًا بأن جعل منهم أنبياءَ وملوكًا، وأعطاهم ما لا يعد ولا يحصى من النّعم والفرص دون جدوى إلا قليلا منهم ممن آمنوا كما ذكرنا آنفًا.

سورة المائدةِ: وَإِذْ قَالَ مُوسَىٰ لِقَوْمِهِۦ يَٰقَوْمِ ٱذْكُرُوا۟ نِعْمَةَ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ جَعَلَ فِيكُمْ أَنۢبِيَآءَ وَجَعَلَكُم مُّلُوكًا وَءَاتَىٰكُم مَّا لَمْ يُؤْتِ أَحَدًا مِّنَ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٢٠﴾.

وعندما جاءهم محمدٌ عليه الصلاةُ والسلامُ بالكتابِ المصدقِ لكتابهم، حاربوه وتآمروا عليه وجيّشوا الناسَ لمحاربته واتهموه بالسحرِ والجنونِ ووصفوه بأقبح الأوصاف حسدًا وغيظًا بسبب أن الكتابَ لم يعد حكرًا لهم، وهم يعلمون أن ما بُعث به محمد عليه الصّلاة والسّلام هو الحقّ من ربّهم.

إذًا فالواضح أنّ الله استمر بتفضيل بني إسرائيلَ من خلال أنه جعل معظمهم أهلًا للكتابِ وأهلًا للإنجيلِ وللذكر وجعل منهم أنبياءَ وملوكًا بهذه المنزلة الرفيعة التي كرمهم الله بها.

لذلك وعندما جاءهم نبيّهم من بعد موسى عليه السلامُ ليخبرهم أنّ الله بعث لكم طالوتَ ملكًا، اعترضوا عليه، لأنهم أرادوا الملكَ أن يكون لهم وحدهم.

سورة البقرةِ: وَقَالَ لَهُمْ نَبِيُّهُمْ إِنَّ ٱللَّهَ قَدْ بَعَثَ لَكُمْ طَالُوتَ مَلِكًا قَالُوٓاْ أَنَّىٰ يَكُونُ لَهُ ٱلْمُلْكُ عَلَيْنَا وَنَحْنُ أَحَقُّ بِٱلْمُلْكِ مِنْهُ وَلَمْ يُؤْتَ سَعَةً مِّنَ ٱلْمَالِ قَالَ إِنَّ ٱللَّهَ ٱصْطَفَىٰهُ عَلَيْكُمْ وَزَادَهُۥ بَسْطَةً فِى ٱلْعِلْمِ وَٱلْجِسْمِ وَٱللَّهُ يُؤْتِى مُلْكَهُۥ مَن يَشَآءُ وَٱللَّهُ وَٰسِعٌ عَلِيمٌ ﴿٢٤٧﴾.

ومع ذلك فقد قال لهم نبيّهم حتّى يقنعهم بموالاة طالوتَ أنّه سيأتيهم بميراثٍ عظيمٍ وهو بقية مما ترك ءال موسى وءال هارونَ عليهما السّلام وليس هذا فقط، بل وتحمله ملائكةٌ.

سورة البقرة: وَقَالَ لَهُمْ نَبِيُّهُمْ إِنَّ ءَايَةَ مُلْكِهِۦٓ أَن يَأْتِيَكُمُ ٱلتَّابُوتُ فِيهِ سَكِينَةٌ مِّن رَّبِّكُمْ وَبَقِيَّةٌ مِّمَّا تَرَكَ ءَالُ مُوسَىٰ وَءَالُ هَٰرُونَ تَحْمِلُهُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَةً لَّكُمْ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴿٢٤٨﴾.

نعودُ لموسى عليهِ السَّلامَ وكتابِهِ وبني إسرائيلَ.

سورةُ السَّجدةِ: وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا مُوسَى ٱلْكِتَٰبَ فَلَا تَكُن فِى مِرْيَةٍ مِّن لِّقَآئِهِۦ وَجَعَلْنَٰهُ هُدًى لِّبَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ ﴿٢٣﴾.

وأعودُ لأذكرَ أنَّ هذهِ الآيةَ والتي فُسِّرَتْ على أنَّ الكتابَ هو التَّوراةُ وأنَّ محمدًا عليهِ الصَّلاةُ والسَّلامُ سيلقى موسى في المعراجِ، أصبحَتْ الآنَ واضحةً، فاللهُ يخبرُ محمدًا أنَّهُ سيلقى كتابَ موسى الَّذي هو مع أهلِ الكتابِ وهم بنو إسرائيلَ حيثُ أنّ الكتاب كانَ موجودًا معهم حينَها.

سورةُ الأحقافِ: قُلْ أَرَءَيْتُمْ إِن كَانَ مِنْ عِندِ ٱللَّهِ وَكَفَرْتُم بِهِۦ وَشَهِدَ شَاهِدٌ مِّنْ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ عَلَىٰ مِثْلِهِۦ فَـَٔامَنَ وَٱسْتَكْبَرْتُمْ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿١٠﴾ وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لِلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَوْ كَانَ خَيْرًا مَّا سَبَقُونَآ إِلَيْهِ وَإِذْ لَمْ يَهْتَدُواْ بِهِۦ فَسَيَقُولُونَ هَٰذَآ إِفْكٌ قَدِيمٌ ﴿١١﴾ وَمِن قَبْلِهِۦ كِتَٰبُ مُوسَىٰٓ إِمَامًا وَرَحْمَةً وَهَٰذَا كِتَٰبٌ مُّصَدِّقٌ لِّسَانًا عَرَبِيًّا لِّيُنذِرَ ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ وَبُشْرَىٰ لِلْمُحْسِنِينَ ﴿١٢﴾.

وهذا دليلٌ آخرُ ذكرناهُ سابقًا ونكررُهُ للأهميةِ حيثُ سيشهدُ شاهدٌ من بني إسرائيلَ على كتابِكَ يا محمدَ فهم عندهم مثلُهُ.

نكملُ مع موسى عليه السلام وقومِهِ بنو إسرائيلَ.

سورةُ غافرٍ: وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا مُوسَى ٱلْهُدَىٰ وَأَوْرَثْنَا بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ ٱلْكِتَٰبَ ﴿٥٣﴾.

سورةُ الجاثيّةِ: وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحُكْمَ وَٱلنُّبُوَّةَ وَرَزَقْنَٰهُم مِّنَ ٱلطَّيِّبَٰتِ وَفَضَّلْنَٰهُمْ عَلَى ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿١٦﴾.

سورةُ الإسراءِ: وَءَاتَيْنَا مُوسَى ٱلْكِتَٰبَ وَجَعَلْنَٰهُ هُدًى لِّبَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ أَلَّا تَتَّخِذُوا۟ مِن دُونِى وَكِيلًا ﴿٢﴾.

سورةُ يونسَ: وَجَٰوَزْنَا بِبَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ ٱلْبَحْرَ فَأَتْبَعَهُمْ فِرْعَوْنُ وَجُنُودُهُۥ بَغْيًا وَعَدْوًا حَتَّىٰٓ إِذَآ أَدْرَكَهُ ٱلْغَرَقُ قَالَ ءَامَنتُ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا ٱلَّذِىٓ ءَامَنَتْ بِهِۦ بَنُوٓا۟ إِسْرَٰٓءِيلَ وَأَنَا۠ مِنَ ٱلْمُسْلِمِينَ ﴿٩٠﴾.

ولابدَّ لي أنْ أوضحَ هنا أنَّ الآيةَ تبينُ أنَّ فرعونَ قالَ أنَّهُ آمنَ برسالةِ موسى عليه السلام والتي هي الإسلامُ والتي كانَ حينَها بنو إسرائيلَ متبعيها، حيثُ قالَ: آمنتُ أنَّهُ لا إلهَ إلا الذي آمنَتْ بهِ بنو إسرائيلَ وأنا من المسلمينَ، فمن الواضحِ هنا أنَّ موسى عليهِ السلامَ كانَ مسلمًا ولم يرتبطْ اسمُهُ بالملَّةِ اليهوديةِ أبدًا، وهذا ما قالَهُ اللهُ بحقِّ جميعِ الأنبياءِ والرُّسلِ، فجميعُهم جاءوا بديانةٍ واحدةٍ وهي الإسلامُ.

سورةُ ءالِ عمرانَ: مَا كَانَ إِبْرَٰهِيمُ يَهُودِيًّا وَلَا نَصْرَانِيًّا وَلَٰكِن كَانَ حَنِيفًا مُّسْلِمًا وَمَا كَانَ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ﴿٦٧﴾.

ويجب التفريق بين يهوديّ وهي مفرد ومنسوبة لليهود وهودا وبين الذين هادوا، ونصرانيّ وهي أيضا مفرد ومنسوبة للنصارى وبين إنا نصارى أو أنصار الله وهذا موضوع مهم جدًا لنعلم ونفهم سياقات القرءان في هذا الموضوع بشكل أدقّ وأعمق، وإن شاء الله سنبين ذلك بالتفصيل.

سورةُ البقرةِ: وَقَالُواْ كُونُواْ هُودًا أَوْ نَصَٰرَىٰ تَهْتَدُواْ قُلْ بَلْ مِلَّةَ إِبْرَٰهِـۧمَ حَنِيفًا وَمَا كَانَ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ﴿١٣٥﴾.

سورةُ البقرةِ: أَمْ تَقُولُونَ إِنَّ إِبْرَٰهِـۧمَ وَإِسْمَٰعِيلَ وَإِسْحَٰقَ وَيَعْقُوبَ وَٱلْأَسْبَاطَ كَانُواْ هُودًا أَوْ نَصَٰرَىٰ قُلْ ءَأَنتُمْ أَعْلَمُ أَمِ ٱللَّهُ وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّن كَتَمَ شَهَٰدَةً عِندَهُۥ مِنَ ٱللَّهِ وَمَا ٱللَّهُ بِغَٰفِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ ﴿١٤٠﴾.

ونلاحظُ أيضًا قولَهُ تعالى في **سورةِ ءالِ عمرانَ: إِنَّ ٱلدِّينَ عِندَ ٱللَّهِ ٱلْإِسْلَٰمُ وَمَا ٱخْتَلَفَ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلْكِتَٰبَ إِلَّا مِنۢ بَعْدِ مَا جَآءَهُمُ ٱلْعِلْمُ بَغْيًۢا بَيْنَهُمْ وَمَن يَكْفُرْ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ فَإِنَّ ٱللَّهَ سَرِيعُ ٱلْحِسَابِ ﴿١٩﴾.**

سورةُ ءالِ عمرانَ: وَمَن يَبْتَغِ غَيْرَ ٱلْإِسْلَٰمِ دِينًا فَلَن يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِى ٱلْءَاخِرَةِ مِنَ ٱلْخَٰسِرِينَ ﴿٨٥﴾.

وفي سورةِ يونسَ على لسانِ نوحٍ عليهِ السلامُ: فَإِن تَوَلَّيْتُمْ فَمَا سَأَلْتُكُم مِّنْ أَجْرٍ إِنْ أَجْرِىَ إِلَّا عَلَى ٱللَّهِ وَأُمِرْتُ أَنْ أَكُونَ مِنَ ٱلْمُسْلِمِينَ ﴿٧٢﴾.

وأخبرَ عن إبراهيمَ عليهِ السلامُ في سورةِ البقرةِ: إِذْ قَالَ لَهُۥ رَبُّهُۥٓ أَسْلِمْ قَالَ أَسْلَمْتُ لِرَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿١٣١﴾.

سورة البقرة: وَإِذْ يَرْفَعُ إِبْرَٰهِـۧمُ ٱلْقَوَاعِدَ مِنَ ٱلْبَيْتِ وَإِسْمَٰعِيلُ رَبَّنَا تَقَبَّلْ مِنَّآ إِنَّكَ أَنتَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ ﴿١٢٧﴾ رَبَّنَا وَٱجْعَلْنَا مُسْلِمَيْنِ لَكَ وَمِن ذُرِّيَّتِنَآ أُمَّةً مُّسْلِمَةً لَّكَ وَأَرِنَا مَنَاسِكَنَا وَتُبْ عَلَيْنَآ إِنَّكَ أَنتَ ٱلتَّوَّابُ ٱلرَّحِيمُ ﴿١٢٨﴾.

وأخبرَ عن موسى عليهِ السلامُ في سورةِ يونسَ: وَقَالَ مُوسَىٰ يَٰقَوْمِ إِن كُنتُمْ ءَامَنتُم بِٱللَّهِ فَعَلَيْهِ تَوَكَّلُوٓاْ إِن كُنتُم مُّسْلِمِينَ ﴿٨٤﴾.

وأخبرَ عن الحواريينَ في سورةِ المائدةِ: وَإِذْ أَوْحَيْتُ إِلَى ٱلْحَوَارِيِّـۧنَ أَنْ ءَامِنُواْ بِى وَبِرَسُولِى قَالُوٓاْ ءَامَنَّا وَٱشْهَدْ بِأَنَّنَا مُسْلِمُونَ ﴿١١١﴾.

وأخبرَ عن سليمانَ عليهِ السلامُ على لسانِ ملكةِ سبأَ في سورةِ النَّملِ: قِيلَ لَهَا ٱدْخُلِى ٱلصَّرْحَ فَلَمَّا رَأَتْهُ حَسِبَتْهُ لُجَّةً وَكَشَفَتْ عَن سَاقَيْهَا قَالَ إِنَّهُۥ صَرْحٌ مُّمَرَّدٌ مِّن قَوَارِيرَ قَالَتْ رَبِّ إِنِّى ظَلَمْتُ نَفْسِى وَأَسْلَمْتُ مَعَ سُلَيْمَٰنَ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٤٤﴾.

وأخبرَ سبحانَهُ وتعالى عن الأنبياءِ الذينَ سبقوا محمدًا بالعمومِ في سورةِ المائدةِ: إِنَّآ أَنزَلْنَا ٱلتَّوْرَىٰةَ فِيهَا هُدًى وَنُورٌ يَحْكُمُ بِهَا ٱلنَّبِيُّونَ ٱلَّذِينَ أَسْلَمُواْ لِلَّذِينَ هَادُواْ وَٱلرَّبَّٰنِيُّونَ وَٱلْأَحْبَارُ بِمَا ٱسْتُحْفِظُواْ مِن كِتَٰبِ ٱللَّهِ وَكَانُواْ عَلَيْهِ شُهَدَآءَ فَلَا تَخْشَوُاْ ٱلنَّاسَ وَٱخْشَوْنِ وَلَا تَشْتَرُواْ بِـَٔايَٰتِى ثَمَنًا قَلِيلًا وَمَن لَّمْ يَحْكُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْكَٰفِرُونَ ﴿٤٤﴾.

سورةُ البقرةِ: أَمْ كُنتُمْ شُهَدَآءَ إِذْ حَضَرَ يَعْقُوبَ ٱلْمَوْتُ إِذْ قَالَ لِبَنِيهِ مَا تَعْبُدُونَ مِنۢ بَعْدِى قَالُواْ نَعْبُدُ إِلَٰهَكَ وَإِلَٰهَ ءَابَآئِكَ إِبْرَٰهِۦمَ وَإِسْمَٰعِيلَ وَإِسْحَٰقَ إِلَٰهًا وَٰحِدًا وَنَحْنُ لَهُۥ مُسْلِمُونَ ﴿١٣٣﴾.

سورةُ البقرةِ: قُولُوٓاْ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَمَآ أُنزِلَ إِلَيْنَا وَمَآ أُنزِلَ إِلَىٰٓ إِبْرَٰهِۦمَ وَإِسْمَٰعِيلَ وَإِسْحَٰقَ وَيَعْقُوبَ وَٱلْأَسْبَاطِ وَمَآ أُوتِىَ مُوسَىٰ وَعِيسَىٰ وَمَآ أُوتِىَ ٱلنَّبِيُّونَ مِن رَّبِّهِمْ لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِّنْهُمْ وَنَحْنُ لَهُۥ مُسْلِمُونَ ﴿١٣٦﴾.

سورةُ ءالِ عمرانَ: قُلْ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَمَآ أُنزِلَ عَلَيْنَا وَمَآ أُنزِلَ عَلَىٰٓ إِبْرَٰهِيمَ وَإِسْمَٰعِيلَ وَإِسْحَٰقَ وَيَعْقُوبَ وَٱلْأَسْبَاطِ وَمَآ أُوتِىَ مُوسَىٰ وَعِيسَىٰ وَٱلنَّبِيُّونَ مِن رَّبِّهِمْ لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِّنْهُمْ وَنَحْنُ لَهُۥ مُسْلِمُونَ ﴿٨٤﴾.

سورةُ العنكبوتِ: وَلَا تُجَٰدِلُوٓاْ أَهۡلَ ٱلۡكِتَٰبِ إِلَّا بِٱلَّتِي هِيَ أَحۡسَنُ إِلَّا ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ مِنۡهُمۡ وَقُولُوٓاْ ءَامَنَّا بِٱلَّذِيٓ أُنزِلَ إِلَيۡنَا وَأُنزِلَ إِلَيۡكُمۡ وَإِلَٰهُنَا وَإِلَٰهُكُمۡ وَٰحِدٞ وَنَحۡنُ لَهُۥ مُسۡلِمُونَ ﴿٤٦﴾.

سورةُ الشُّورىٰ: شَرَعَ لَكُم مِّنَ ٱلدِّينِ مَا وَصَّىٰ بِهِۦ نُوحٗا وَٱلَّذِيٓ أَوۡحَيۡنَآ إِلَيۡكَ وَمَا وَصَّيۡنَا بِهِۦٓ إِبۡرَٰهِيمَ وَمُوسَىٰ وَعِيسَىٰٓۖ أَنۡ أَقِيمُواْ ٱلدِّينَ وَلَا تَتَفَرَّقُواْ فِيهِۚ كَبُرَ عَلَى ٱلۡمُشۡرِكِينَ مَا تَدۡعُوهُمۡ إِلَيۡهِۚ ٱللَّهُ يَجۡتَبِيٓ إِلَيۡهِ مَن يَشَآءُ وَيَهۡدِيٓ إِلَيۡهِ مَن يُنِيبُ ﴿١٣﴾.

تعمدتُ أنْ أكررَ هذهِ الآياتِ وإن كنتُ قد ذكرتُها سابقًا والهدفُ من ذلكَ هو ترسيخُ هذا الموضوعِ في أذهانِنا بأنَّ الدينَ واحدٌ للجميعِ وهو الإسلامُ لا اليهوديَّةَ أو النصرانيَّةَ أو أيَّ ملَّةٍ أو ديانةٍ أخرى تمَّ ابتداعُها كما قد يزعم البعض.

سورةُ البقرةِ: وَلَن تَرۡضَىٰ عَنكَ ٱلۡيَهُودُ وَلَا ٱلنَّصَٰرَىٰ حَتَّىٰ تَتَّبِعَ مِلَّتَهُمۡۗ قُلۡ إِنَّ هُدَى ٱللَّهِ هُوَ ٱلۡهُدَىٰۗ وَلَئِنِ ٱتَّبَعۡتَ أَهۡوَآءَهُم بَعۡدَ ٱلَّذِي جَآءَكَ مِنَ ٱلۡعِلۡمِ مَا لَكَ مِنَ ٱللَّهِ مِن وَلِيّٖ وَلَا نَصِيرٖ ﴿١٢٠﴾.

سورةُ المائدةِ: يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَتَّخِذُواْ ٱلۡيَهُودَ وَٱلنَّصَٰرَىٰٓ أَوۡلِيَآءَۘ بَعۡضُهُمۡ أَوۡلِيَآءُ بَعۡضٖۚ وَمَن يَتَوَلَّهُم مِّنكُمۡ فَإِنَّهُۥ مِنۡهُمۡۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهۡدِي ٱلۡقَوۡمَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٥١﴾.

وعودةٌ على ما سبقَ، فإسرائيلُ عليهِ السلامُ ذكرَهُ اللهُ في سورةِ ءالِ عمرانَ وسورةِ مريمَ لكن لا نعلمُ عن سيرتِهِ شيءٌ يقيني إلا ما ذكرَهُ اللهُ عنهُ.

سورةُ ءالِ عمرانَ: كُلُّ ٱلطَّعَامِ كَانَ حِلّٗا لِّبَنِيٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ إِلَّا مَا حَرَّمَ إِسۡرَٰٓءِيلُ عَلَىٰ نَفۡسِهِۦ مِن قَبۡلِ أَن تُنَزَّلَ ٱلتَّوۡرَىٰةُۗ قُلۡ فَأۡتُواْ بِٱلتَّوۡرَىٰةِ فَٱتۡلُوهَآ إِن كُنتُمۡ صَٰدِقِينَ ﴿٩٣﴾.

سورةُ مريمَ: أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ أَنْعَمَ ٱللَّهُ عَلَيْهِم مِّنَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ مِن ذُرِّيَّةِ ءَادَمَ وَمِمَّنْ حَمَلْنَا مَعَ نُوحٍ وَمِن ذُرِّيَّةِ إِبْرَٰهِيمَ وَإِسْرَٰٓءِيلَ وَمِمَّنْ هَدَيْنَا وَٱجْتَبَيْنَآ إِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتُ ٱلرَّحْمَٰنِ خَرُّواْ سُجَّدًا وَبُكِيًّا ﴿٥٨﴾.

وبعدَ أنْ جاءَ موسى قومَهُ بالكتابِ أصبحوا وكما ذكرنا سابقًا من أهلِ الكتابِ ومنهم من آمنَ وصدَّقَ بالكتابِ ومنهم من كفرَ بهِ.

سورةُ العنكبوتِ: وَلَا تُجَٰدِلُوٓاْ أَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ إِلَّا بِٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ إِلَّا ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ مِنْهُمْ وَقُولُوٓاْ ءَامَنَّا بِٱلَّذِىٓ أُنزِلَ إِلَيْنَا وَأُنزِلَ إِلَيْكُمْ وَإِلَٰهُنَا وَإِلَٰهُكُمْ وَٰحِدٌ وَنَحْنُ لَهُۥ مُسْلِمُونَ ﴿٤٦﴾.

سورةُ المائدةِ: قُلْ يَٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ هَلْ تَنقِمُونَ مِنَّآ إِلَّآ أَنْ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَمَآ أُنزِلَ إِلَيْنَا وَمَآ أُنزِلَ مِن قَبْلُ وَأَنَّ أَكْثَرَكُمْ فَٰسِقُونَ ﴿٥٩﴾.

سورةُ البقرةِ: مَّا يَوَدُّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ مِنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ وَلَا ٱلْمُشْرِكِينَ أَن يُنَزَّلَ عَلَيْكُم مِّنْ خَيْرٍ مِّن رَّبِّكُمْ وَٱللَّهُ يَخْتَصُّ بِرَحْمَتِهِۦ مَن يَشَآءُ وَٱللَّهُ ذُو ٱلْفَضْلِ ٱلْعَظِيمِ ﴿١٠٥﴾.

يخاطبُ اللهُ محمدًا عليهِ الصَّلاةُ والسَّلامُ في سورةِ ءالِ عمرانَ: نَزَّلَ عَلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ بِٱلْحَقِّ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ وَأَنزَلَ ٱلتَّوْرَىٰةَ وَٱلْإِنجِيلَ ﴿٣﴾.

وهنا تأتي كلمةُ التَّوراةِ لأولِ مرةٍ وأؤكِّدُ مرّة أخرى بأنَّ التَّوراةَ لم ترتبطْ بموسى عليهِ السلامُ في القرءانِ العظيمِ، وأعيد هنا أن كتاب محمد مصدق لكتاب موسى الذي هو بين يديه أي موجود في زمانه ومكانه، وأنزل شيئين غيرهما هما التوراة والإنجيل.

سورةُ ءالِ عمرانَ: يَٰٓأَهۡلَ ٱلۡكِتَٰبِ لِمَ تُحَآجُّونَ فِيٓ إِبۡرَٰهِيمَ وَمَآ أُنزِلَتِ ٱلتَّوۡرَىٰةُ وَٱلۡإِنجِيلُ إِلَّا مِنۢ بَعۡدِهِۦٓ أَفَلَا تَعۡقِلُونَ ﴿٦٥﴾.

ومن الواضحِ أيضًا أنَّ التَّوراةَ فيها أحكامٌ.

سورةُ المائدةِ: وَكَيۡفَ يُحَكِّمُونَكَ وَعِندَهُمُ ٱلتَّوۡرَىٰةُ فِيهَا حُكۡمُ ٱللَّهِ ثُمَّ يَتَوَلَّوۡنَ مِنۢ بَعۡدِ ذَٰلِكَ وَمَآ أُوْلَٰٓئِكَ بِٱلۡمُؤۡمِنِينَ ﴿٤٣﴾.

وسنأتي على التَّوراةِ بالتفصيلِ لاحقًا.

وقد استمرَّ بنو إسرائيلَ وأهلُ الكتابِ من بعدِ موسى مرورًا بداوودَ وسليمان حتى بعثةِ عيسى عليهِ السلامُ وما بعدَهُ إلى محمدٍ عليه الصلاة والسلام وحتى وقتِنا هذا.

سورةُ البقرةِ: أَلَمْ تَرَ إِلَى الْمَلَإِ مِن بَنِي إِسْرَائِيلَ مِن بَعْدِ مُوسَىٰ إِذْ قَالُوا لِنَبِيٍّ لَّهُمُ ابْعَثْ لَنَا مَلِكًا نُّقَاتِلْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ ۖ قَالَ هَلْ عَسَيْتُمْ إِن كُتِبَ عَلَيْكُمُ الْقِتَالُ أَلَّا تُقَاتِلُوا ۖ قَالُوا وَمَا لَنَا أَلَّا نُقَاتِلَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَقَدْ أُخْرِجْنَا مِن دِيَارِنَا وَأَبْنَائِنَا ۖ فَلَمَّا كُتِبَ عَلَيْهِمُ الْقِتَالُ تَوَلَّوْا إِلَّا قَلِيلًا مِّنْهُمْ ۗ وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِالظَّالِمِينَ ﴿٢٤٦﴾.

سورةُ ءالِ عمرانَ: وَرَسُولًا إِلَىٰ بَنِي إِسْرَائِيلَ أَنِّي قَدْ جِئْتُكُم بِآيَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ ۖ أَنِّي أَخْلُقُ لَكُم مِّنَ الطِّينِ كَهَيْئَةِ الطَّيْرِ فَأَنفُخُ فِيهِ فَيَكُونُ طَيْرًا بِإِذْنِ اللَّهِ ۖ وَأُبْرِئُ الْأَكْمَهَ وَالْأَبْرَصَ وَأُحْيِي الْمَوْتَىٰ بِإِذْنِ اللَّهِ ۖ وَأُنَبِّئُكُم بِمَا تَأْكُلُونَ وَمَا تَدَّخِرُونَ فِي بُيُوتِكُمْ ۚ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَةً لَّكُمْ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴿٤٩﴾.

سورةُ المائدةِ: لَقَدْ كَفَرَ ٱلَّذِينَ قَالُوٓاْ إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلۡمَسِيحُ ٱبۡنُ مَرۡيَمَ وَقَالَ ٱلۡمَسِيحُ يَٰبَنِيٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ ٱعۡبُدُواْ ٱللَّهَ رَبِّي وَرَبَّكُمۡ إِنَّهُۥ مَن يُشۡرِكۡ بِٱللَّهِ فَقَدۡ حَرَّمَ ٱللَّهُ عَلَيۡهِ ٱلۡجَنَّةَ وَمَأۡوَىٰهُ ٱلنَّارُ وَمَا لِلظَّٰلِمِينَ مِنۡ أَنصَارٖ ﴿٧٢﴾.

سورةُ المائدةِ: إِذْ قَالَ اللَّهُ يَا عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ اذْكُرْ نِعْمَتِي عَلَيْكَ وَعَلَىٰ وَالِدَتِكَ إِذْ أَيَّدتُّكَ بِرُوحِ الْقُدُسِ تُكَلِّمُ النَّاسَ فِي الْمَهْدِ وَكَهْلًا ۖ وَإِذْ عَلَّمْتُكَ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَالتَّوْرَاةَ وَالْإِنجِيلَ ۖ وَإِذْ تَخْلُقُ مِنَ الطِّينِ كَهَيْئَةِ الطَّيْرِ بِإِذْنِي فَتَنفُخُ فِيهَا فَتَكُونُ طَيْرًا بِإِذْنِي ۖ وَتُبْرِئُ الْأَكْمَهَ وَالْأَبْرَصَ بِإِذْنِي ۖ وَإِذْ تُخْرِجُ الْمَوْتَىٰ بِإِذْنِي ۖ وَإِذْ كَفَفْتُ بَنِي إِسْرَائِيلَ عَنكَ إِذْ جِئْتَهُم بِالْبَيِّنَاتِ فَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْهُمْ إِنْ هَٰذَا إِلَّا سِحْرٌ مُّبِينٌ ﴿١١٠﴾.

سورةُ المائدةِ: وَقَفَّيْنَا عَلَىٰٓ ءَاثَٰرِهِم بِعِيسَى ٱبْنِ مَرْيَمَ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ ٱلتَّوْرَىٰةِ وَءَاتَيْنَٰهُ ٱلْإِنجِيلَ فِيهِ هُدًى وَنُورٌ وَمُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ ٱلتَّوْرَىٰةِ وَهُدًى وَمَوْعِظَةً لِّلْمُتَّقِينَ ﴿٤٦﴾.

ومن الملاحظِ هنا وكما ذكرنا سابقًا أنَّ اللهَ علَّمَ عيسى الكتابَ ولم ينزلْهُ له أو عليهِ وآتاه الإنجيلَ الذي هو عبارةٌ عن أحكامٍ ونورٍ وهدى، فظهرَ هنا فريقٌ اسمُهم أهلُ الإنجيلِ وهم أيضًا من بني إسرائيلَ وبعضُهم من أقوامٍ أخرى ممن اتبعوا عيسى عليه السلام.

سورةُ المائدةِ: وَلْيَحْكُمْ أَهْلُ ٱلْإِنجِيلِ بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ فِيهِ وَمَن لَّمْ يَحْكُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْفَٰسِقُونَ ﴿٤٧﴾.

والآيةُ التاليةُ تُوضحُ كم كانَ بَنو إسرائيلَ بعيدينَ عنِ الحَقِّ وكم كانوا دائمِيَ التصادمِ مع رُسُلِهم الذينَ أرسلَهُمُ اللهُ لِهدايتِهم، فكانوا يُحاربونَهم ويَقتلونَهم، ولذلك فقد لَعَنَهُم داوودُ وعيسى عليهما السلامُ مِن شِدَّةِ قبح ما فَعَلوه معهما.

سورةُ المائدةِ: لُعِنَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ مِنۢ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ عَلَىٰ لِسَانِ دَاوُۥدَ وَعِيسَى ٱبْنِ مَرْيَمَ ذَٰلِكَ بِمَا عَصَواْ وَّكَانُواْ يَعْتَدُونَ ﴿٧٨﴾.

ولابُدَّ مِنَ التعريجِ هنا على أنَّ داوودَ لم يُؤتَ الزَّبورَ كما زَعَمَ الموروثُ، بل أُوتِيَ زَبورًا واحدًا، ففي **سورةِ النِّساءِ: إِنَّآ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ كَمَآ أَوْحَيْنَآ إِلَىٰ نُوحٍ وَٱلنَّبِيِّـۧنَ مِنۢ بَعْدِهِۦ وَأَوْحَيْنَآ إِلَىٰٓ إِبْرَٰهِيمَ وَإِسْمَٰعِيلَ وَإِسْحَٰقَ وَيَعْقُوبَ وَٱلْأَسْبَاطِ وَعِيسَىٰ وَأَيُّوبَ وَيُونُسَ وَهَٰرُونَ وَسُلَيْمَٰنَ وَءَاتَيْنَا دَاوُۥدَ زَبُورًا ﴿١٦٣﴾.**

فمفردةُ "زَبورًا" هنا تُعدُّ لُغويًّا غيرَ معرَّفةٍ وهي تختلفُ عن "الزبور"، كقولي "أكلتُ تفاحةً" وقولي "أكلتُ التُّفاحةَ"، فالأولى بِمعنى أيِّ تفاحةٍ، أمَّا الثانيةُ فمعرَّفةٌ بِمعنى تفاحة محدَّدةٍ. ولا أعلَمُ حقيقةً كيفَ لأهلِ التَّفاسيرِ والتأويلِ أن يَغفلوا عن مثلِ هذه المعلومةِ البديهيَّةِ.

سورةُ الإسراءِ: وَرَبُّكَ أَعْلَمُ بِمَن فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَلَقَدْ فَضَّلْنَا بَعْضَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ عَلَىٰ بَعْضٍ وَءَاتَيْنَا دَاوُۥدَ زَبُورًا ﴿٥٥﴾.

بينما الزَّبورُ المعرَّفُ بأَلِفِ لامِ التَّعريفِ، هو كتابٌ موجودٌ عندَ اللهِ عزَّ وجلَّ، ففي **سورةِ الأنبياءِ: يَوْمَ نَطْوِى ٱلسَّمَآءَ كَطَىِّ ٱلسِّجِلِّ لِلْكُتُبِ كَمَا بَدَأْنَآ أَوَّلَ خَلْقٍ نُّعِيدُهُۥ وَعْدًا عَلَيْنَآ إِنَّا كُنَّا فَٰعِلِينَ ﴿١٠٤﴾ وَلَقَدْ كَتَبْنَا فِى ٱلزَّبُورِ مِنۢ بَعْدِ ٱلذِّكْرِ أَنَّ ٱلْأَرْضَ يَرِثُهَا عِبَادِىَ ٱلصَّٰلِحُونَ ﴿١٠٥﴾.**

ويجبُ التَّنويهُ هنا أنَّ ما آتى اللهُ داوودَ عليه السَّلامُ "زَبورًا" غالبًا ليس كتابًا وإنَّما شيءٌ آخرُ، لأنَّ جَذرَ الكلمةِ أو أصلُها وهو "زَبَرَ" تُعطي معنى الامتلاءِ وقد تُشيرُ إلى القوَّةِ والصَّلابةِ والمتانةِ، فقد يكونُ المقصودُ بها امتلاءٌ في القُوَى أو العِلمِ الذي وَهَبَهُ إيَّاهُ:

سورةُ البقرةِ: فَهَزَمُوهُم بِإِذْنِ ٱللَّهِ وَقَتَلَ دَاوُۥدُ جَالُوتَ وَءَاتَىٰهُ ٱللَّهُ ٱلْمُلْكَ وَٱلْحِكْمَةَ وَعَلَّمَهُۥ مِمَّا يَشَآءُ وَلَوْلَا دَفْعُ ٱللَّهِ ٱلنَّاسَ بَعْضَهُم بِبَعْضٍ لَّفَسَدَتِ ٱلْأَرْضُ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ ذُو فَضْلٍ عَلَى ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٢٥١﴾.

سورةُ الأنبياءِ: وَدَاوُۥدَ وَسُلَيْمَٰنَ إِذْ يَحْكُمَانِ فِى ٱلْحَرْثِ إِذْ نَفَشَتْ فِيهِ غَنَمُ ٱلْقَوْمِ وَكُنَّا لِحُكْمِهِمْ شَٰهِدِينَ ﴿٧٨﴾ فَفَهَّمْنَٰهَا سُلَيْمَٰنَ وَكُلًّا ءَاتَيْنَا حُكْمًا وَعِلْمًا وَسَخَّرْنَا مَعَ دَاوُۥدَ ٱلْجِبَالَ يُسَبِّحْنَ وَٱلطَّيْرَ وَكُنَّا فَٰعِلِينَ ﴿٧٩﴾ وَعَلَّمْنَٰهُ صَنْعَةَ لَبُوسٍ لَّكُمْ لِتُحْصِنَكُم مِّنۢ بَأْسِكُمْ فَهَلْ أَنتُمْ شَٰكِرُونَ ﴿٨٠﴾.

سورةُ النَّملِ: وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا دَاوُۥدَ وَسُلَيْمَٰنَ عِلْمًا وَقَالَا ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِى فَضَّلَنَا عَلَىٰ كَثِيرٍ مِّنْ عِبَادِهِ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿١٥﴾.

سورةُ سبأ: وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا دَاوُۥدَ مِنَّا فَضْلًا يَٰجِبَالُ أَوِّبِى مَعَهُۥ وَٱلطَّيْرَ وَأَلَنَّا لَهُ ٱلْحَدِيدَ ﴿١٠﴾ أَنِ ٱعْمَلْ سَٰبِغَٰتٍ وَقَدِّرْ فِى ٱلسَّرْدِ وَٱعْمَلُوا۟ صَٰلِحًا إِنِّى بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴿١١﴾.

سورةُ ص: ٱصْبِرْ عَلَىٰ مَا يَقُولُونَ وَٱذْكُرْ عَبْدَنَا دَاوُۥدَ ذَا ٱلْأَيْدِ إِنَّهُۥ أَوَّابٌ ﴿١٧﴾ إِنَّا سَخَّرْنَا ٱلْجِبَالَ مَعَهُۥ يُسَبِّحْنَ بِٱلْعَشِىِّ وَٱلْإِشْرَاقِ ﴿١٨﴾ وَٱلطَّيْرَ مَحْشُورَةً كُلٌّ لَّهُۥٓ أَوَّابٌ ﴿١٩﴾ وَشَدَدْنَا مُلْكَهُۥ وَءَاتَيْنَٰهُ ٱلْحِكْمَةَ وَفَصْلَ ٱلْخِطَابِ ﴿٢٠﴾.

ذو الأيد هنا تعطي دلالة القدرة والقوة.

سورةُ ص: يَٰدَاوُۥدُ إِنَّا جَعَلْنَٰكَ خَلِيفَةً فِى ٱلْأَرْضِ فَٱحْكُم بَيْنَ ٱلنَّاسِ بِٱلْحَقِّ وَلَا تَتَّبِعِ ٱلْهَوَىٰ فَيُضِلَّكَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَضِلُّونَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌۢ بِمَا نَسُوا۟ يَوْمَ ٱلْحِسَابِ ﴿٢٦﴾.

لماذا ذَهَبْنا إلى هذا المَعنى:

أوَّلًا: لأنَّ عيسى عليه السلامُ وفي عِدَّةِ مواضعَ في القُرءانِ، جاءَ مُصَدِّقًا للتَّوراةِ وجاءَ بالإنجيلِ الذي هوَ أيضًا كانَ مُصَدِّقًا للتَّوراةِ، فلماذا لم يأتِ مُصَدِّقًا لِزَبورِ داوودَ معَ العِلمِ أنَّ داوودَ قد بُعِثَ بعدَ موسى عليهما السلامُ،

فلو كانَ زَبورُ داوودَ كتابًا لَكانَ مِن عندِ اللهِ ولَكانَ الإنجيلُ مُصَدِّقًا لهُ أيضًا، ولكن لا توجَدُ آيةٌ واحدةٌ تتكلَّمُ عن ذلكَ.

ثانيًا: عندما تكلَّمَ اللهُ عن تفضيلِ الأنبياءِ ذكرَ أنَّه كلم موسى عليه السَّلامُ تَكليمًا، وعندما تكلَّمَ بنفسِ السِّياقاتِ عن داوودَ فكذلكَ أخبَرَ أنَّه آتى داوودَ زَبورًا، فلو كانَ زَبورُ داوودَ كتابًا، فأينَ التَّفضيلُ هنا وقد جاءوا كلُّهم وجميعهم بالكتابِ أو بالتوراة أو الإنجيل، فلا بدّ وأن يكون التفضيل بشيء خاص.

سورةُ النِّساءِ: إِنَّآ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ كَمَآ أَوْحَيْنَآ إِلَىٰ نُوحٍ وَٱلنَّبِيِّـۧنَ مِنۢ بَعْدِهِۦ وَأَوْحَيْنَآ إِلَىٰٓ إِبْرَٰهِيمَ وَإِسْمَٰعِيلَ وَإِسْحَٰقَ وَيَعْقُوبَ وَٱلْأَسْبَاطِ وَعِيسَىٰ وَأَيُّوبَ وَيُونُسَ وَهَٰرُونَ وَسُلَيْمَٰنَ وَءَاتَيْنَا دَاوُۥدَ زَبُورًا ﴿١٦٣﴾ وَرُسُلًا قَدْ قَصَصْنَٰهُمْ عَلَيْكَ مِن قَبْلُ وَرُسُلًا لَّمْ نَقْصُصْهُمْ عَلَيْكَ وَكَلَّمَ ٱللَّهُ مُوسَىٰ تَكْلِيمًا ﴿١٦٤﴾.

سورةُ الإسراءِ: وَرَبُّكَ أَعْلَمُ بِمَن فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَلَقَدْ فَضَّلْنَا بَعْضَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ عَلَىٰ بَعْضٍ وَءَاتَيْنَا دَاوُۥدَ زَبُورًا ﴿٥٥﴾.

وأرجحُ الظنَّ أنَّ داوودَ أَمْلَأَهُ اللهُ عِلمًا وقوَّةً فأُوتِيَ زَبورًا مِنَ اللهِ عزَّ وجلَّ في هذا.

أمَّا الزَّبورُ عندَ اللهِ فهو كتابٌ مُمتَلئٌ بكلِّ شيءٍ مما أرادَ اللهُ لهذا الكتابِ أن يكونَ مَحتواهُ.

وللنَّظرِ فيما جاءَتْ هذهِ المفردةُ في القُرءانِ:

سورةُ ءالِ عمرانَ: فَإِن كَذَّبُوكَ فَقَدْ كُذِّبَ رُسُلٌ مِّن قَبْلِكَ جَآءُو بِٱلْبَيِّنَٰتِ وَٱلزُّبُرِ وَٱلْكِتَٰبِ ٱلْمُنِيرِ ﴿١٨٤﴾.

سورةُ النَّحلِ: وَمَآ أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ إِلَّا رِجَالًا نُّوحِىٓ إِلَيْهِمْ فَسْـَٔلُوٓاْ أَهْلَ ٱلذِّكْرِ إِن كُنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ﴿٤٣﴾ بِٱلْبَيِّنَٰتِ وَٱلزُّبُرِ وَأَنزَلْنَآ إِلَيْكَ ٱلذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ وَلَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ ﴿٤٤﴾.

سورةُ فاطر: وَإِن يُكَذِّبُوكَ فَقَدْ كَذَّبَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ جَآءَتْهُمْ رُسُلُهُم بِٱلْبَيِّنَٰتِ وَبِٱلزُّبُرِ وَبِٱلْكِتَٰبِ ٱلْمُنِيرِ ﴿٢٥﴾.

البَيّناتُ هنا ومن أحد معانيها تأتي بِمعنى بعض مَحتوى الكُتُبِ أو البراهين مما يسمى اليوم بالمعجزات.

ومِنَ الهامِّ أن نَعلَمَ أنَّ كلمةَ "زُبُر" ليست جَمعًا وإنَّما الجمعُ "زُبَر".

ومِنَ الآياتِ التي تأتي بما ذَهَبنا إليه وتُعطي بوُضوحٍ معنى الامتلاءِ والقوَّةِ:

سورةُ المؤمنون: فَتَقَطَّعُوٓاْ أَمْرَهُم بَيْنَهُمْ زُبُرًا كُلُّ حِزْبٍۭ بِمَا لَدَيْهِمْ فَرِحُونَ ﴿٥٣﴾.

تدلُّ على القوَّةِ بِمعنى شِدَّةٍ في التَّقطُّعِ وامتلاءٍ في الخُصومةِ.

سورةُ الكهف: ءَاتُونِى زُبَرَ ٱلْحَدِيدِ حَتَّىٰٓ إِذَا سَاوَىٰ بَيْنَ ٱلصَّدَفَيْنِ قَالَ ٱنفُخُواْ حَتَّىٰٓ إِذَا جَعَلَهُۥ نَارًا قَالَ ءَاتُونِىٓ أُفْرِغْ عَلَيْهِ قِطْرًا ﴿٩٦﴾ فَمَا ٱسْطَٰعُوٓاْ أَن يَظْهَرُوهُ وَمَا ٱسْتَطَٰعُواْ لَهُۥ نَقْبًا ﴿٩٧﴾.

ويَبقى هذا المَفهومُ ظنِّيًّا مع أنَّني أرى أنَّه أقرَبُ للحقيقةِ.

عودةٌ، ثمَّ تأتي الآيةُ في سورةِ المائدةِ لتجزمَ أنَّ الكتابَ يختلفُ عن التَّوراةِ والإنجيلِ: **قُلْ يَٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ لَسْتُمْ عَلَىٰ شَىْءٍ حَتَّىٰ تُقِيمُواْ ٱلتَّوْرَىٰةَ وَٱلْإِنجِيلَ وَمَآ أُنزِلَ إِلَيْكُم مِّن رَّبِّكُمْ وَلَيَزِيدَنَّ كَثِيرًا مِّنْهُم مَّآ أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ طُغْيَٰنًا وَكُفْرًا فَلَا تَأْسَ عَلَى ٱلْقَوْمِ ٱلْكَٰفِرِينَ ﴿٦٨﴾.**

فالواضحُ هنا أنَّ ما أنزلَ على بني إسرائيلَ يختلفُ عن التَّوراةِ والإنجيلِ والذي هو بالتأكيدِ الكتابُ، كتابُ موسى عليهِ السلامُ.

وثمّ نرى أيضًا أنَّ عيسى عليهِ السلامُ قد بشَّرَهم بمحمدٍ عليهِ الصَّلاةُ والسَّلامُ.

سورةُ الصَّفِّ: وَإِذْ قَالَ عِيسَى ٱبْنُ مَرْيَمَ يَٰبَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ إِنِّى رَسُولُ ٱللَّهِ إِلَيْكُم مُّصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَىَّ مِنَ ٱلتَّوْرَىٰةِ وَمُبَشِّرًۢا بِرَسُولٍ يَأْتِى مِنۢ بَعْدِى ٱسْمُهُۥٓ أَحْمَدُ فَلَمَّا جَآءَهُم بِٱلْبَيِّنَٰتِ قَالُوا۟ هَٰذَا سِحْرٌ مُّبِينٌ ﴿٦﴾.

وليس هذا فقط، فمحمدٌ عليهِ الصَّلاةُ والسَّلامُ موجودٌ ذكرُهُ في التَّوراةِ والإنجيلِ.

سورةُ الأعرافِ: ٱلَّذِينَ يَتَّبِعُونَ ٱلرَّسُولَ ٱلنَّبِىَّ ٱلْأُمِّىَّ ٱلَّذِى يَجِدُونَهُۥ مَكْتُوبًا عِندَهُمْ فِى ٱلتَّوْرَىٰةِ وَٱلْإِنجِيلِ يَأْمُرُهُم بِٱلْمَعْرُوفِ وَيَنْهَىٰهُمْ عَنِ ٱلْمُنكَرِ وَيُحِلُّ لَهُمُ ٱلطَّيِّبَٰتِ وَيُحَرِّمُ عَلَيْهِمُ ٱلْخَبَٰٓئِثَ وَيَضَعُ عَنْهُمْ إِصْرَهُمْ وَٱلْأَغْلَٰلَ ٱلَّتِى كَانَتْ عَلَيْهِمْ فَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ بِهِۦ وَعَزَّرُوهُ وَنَصَرُوهُ وَٱتَّبَعُوا۟ ٱلنُّورَ ٱلَّذِىٓ أُنزِلَ مَعَهُۥٓ أُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ﴿١٥٧﴾.

ومع ذلكَ ومع أنَّهم يدَّعونَ أنَّهم مؤمنونَ فقد كفروا بمحمدٍ عليهِ الصَّلاةُ والسَّلامُ وبرسالتِهِ مع أنَّهُ مكتوبٌ عندَهم في كتبِهم، وكتابه مصدّق لكتابهم.

واستمرَّ أهلُ الكتابِ من موسى مرورًا بعيسى حتى بعثةِ محمدٍ عليهم السلام وإلى زماننا هذا، وانقسموا قسمينَ منهم من ذمَّهم اللهُ ومنهم من مدحَهم.

سورةُ ءالِ عمرانَ: لَيْسُوا۟ سَوَآءً مِّنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ أُمَّةٌ قَآئِمَةٌ يَتْلُونَ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ ءَانَآءَ ٱلَّيْلِ وَهُمْ يَسْجُدُونَ ﴿١١٣﴾.

سورةُ ءالِ عمرانَ: كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِٱلْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَلَوْ ءَامَنَ أَهْلُ ٱلْكِتَٰبِ لَكَانَ خَيْرًا لَّهُم مِّنْهُمُ ٱلْمُؤْمِنُونَ وَأَكْثَرُهُمُ ٱلْفَٰسِقُونَ ﴿١١٠﴾.

سورةُ ءالِ عمرانَ: وَإِنَّ مِنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ لَمَن يُؤْمِنُ بِٱللَّهِ وَمَآ أُنزِلَ إِلَيْكُمْ وَمَآ أُنزِلَ إِلَيْهِمْ خَٰشِعِينَ لِلَّهِ لَا يَشْتَرُونَ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ ثَمَنًا قَلِيلًا أُو۟لَٰٓئِكَ لَهُمْ أَجْرُهُمْ عِندَ رَبِّهِمْ إِنَّ ٱللَّهَ سَرِيعُ ٱلْحِسَابِ ﴿١٩٩﴾.

ولكن أكثرَ أهلِ الكتابِ كفروا وضلُّوا وأضلُّوا وأخفوا وكتموا الحقّ وشاقُّوا الرسولَ عليهِ الصَّلاةُ والسَّلامُ.

سورةُ البقرةِ: وَدَّ كَثِيرٌ مِّنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ لَوْ يَرُدُّونَكُم مِّنۢ بَعْدِ إِيمَٰنِكُمْ كُفَّارًا حَسَدًا مِّنْ عِندِ أَنفُسِهِم مِّنۢ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمُ ٱلْحَقُّ فَٱعْفُواْ وَٱصْفَحُواْ حَتَّىٰ يَأْتِىَ ٱللَّهُ بِأَمْرِهِۦٓ إِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴿١٠٩﴾.

سورةُ المائدةِ: يَٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ قَدْ جَآءَكُمْ رَسُولُنَا يُبَيِّنُ لَكُمْ كَثِيرًا مِّمَّا كُنتُمْ تُخْفُونَ مِنَ ٱلْكِتَٰبِ وَيَعْفُواْ عَن كَثِيرٍ قَدْ جَآءَكُم مِّنَ ٱللَّهِ نُورٌ وَكِتَٰبٌ مُّبِينٌ ﴿١٥﴾.

سورةُ ءال عمرانَ: ضُرِبَتْ عَلَيْهِمُ الذِّلَّةُ أَيْنَ مَا ثُقِفُوا إِلَّا بِحَبْلٍ مِّنَ اللَّهِ وَحَبْلٍ مِّنَ النَّاسِ وَبَاءُوا بِغَضَبٍ مِّنَ اللَّهِ وَضُرِبَتْ عَلَيْهِمُ الْمَسْكَنَةُ ۚ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ كَانُوا يَكْفُرُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ وَيَقْتُلُونَ الْأَنبِيَاءَ بِغَيْرِ حَقٍّ ۚ ذَٰلِكَ بِمَا عَصَوا وَّكَانُوا يَعْتَدُونَ ﴿١١٢﴾.

سورةُ ءالِ عمرانَ: قُلْ يَٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ لِمَ تَكْفُرُونَ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ وَٱللَّهُ شَهِيدٌ عَلَىٰ مَا تَعْمَلُونَ ﴿٩٨﴾ قُلْ يَٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ لِمَ تَصُدُّونَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ مَنْ ءَامَنَ تَبْغُونَهَا عِوَجًا وَأَنتُمْ شُهَدَآءُ وَمَا ٱللَّهُ بِغَٰفِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ ﴿٩٩﴾.

سورةُ النّساءِ: فَبِمَا نَقْضِهِم مِّيثَٰقَهُمْ وَكُفْرِهِم بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ وَقَتْلِهِمُ ٱلْأَنۢبِيَآءَ بِغَيْرِ حَقٍّ وَقَوْلِهِمْ قُلُوبُنَا غُلْفٌ ۢ بَلْ طَبَعَ ٱللَّهُ عَلَيْهَا بِكُفْرِهِمْ فَلَا يُؤْمِنُونَ إِلَّا قَلِيلًا ﴿١٥٥﴾ وَبِكُفْرِهِمْ وَقَوْلِهِمْ عَلَىٰ مَرْيَمَ بُهْتَٰنًا عَظِيمًا ﴿١٥٦﴾.

وَقَوْلِهِمْ إِنَّا قَتَلْنَا ٱلْمَسِيحَ عِيسَى ٱبْنَ مَرْيَمَ رَسُولَ ٱللَّهِ وَمَا قَتَلُوهُ وَمَا صَلَبُوهُ وَلَٰكِن شُبِّهَ لَهُمْ وَإِنَّ ٱلَّذِينَ ٱخْتَلَفُواْ فِيهِ لَفِى شَكٍّ مِّنْهُ مَا لَهُم بِهِۦ مِنْ عِلْمٍ إِلَّا ٱتِّبَاعَ ٱلظَّنِّ وَمَا قَتَلُوهُ يَقِينًۢا ﴿١٥٧﴾ بَل رَّفَعَهُ ٱللَّهُ إِلَيْهِ وَكَانَ ٱللَّهُ عَزِيزًا حَكِيمًا ﴿١٥٨﴾.

جميعُ هذهِ الآياتِ تعطينا موجزًا بسيطًا عن هؤلاءِ الحاقدونَ القتلةُ للأنبياءِ، والذينَ أتوا ببهتانٍ عظيمٍ على مريمَ عليها السلامُ وابنِها، وتَبَجُّحِهم وتفاخرهم بأنَّهم قتلوا عيسى عليهِ السلامُ، وهذا كلُّهُ بسببِ محاولاتِهم البائسةِ للاستحواذِ على هذا الكتابِ العظيمِ ومحاولةِ إبقائِهِ ونسبتِهِ لهم خاصةً دونَ عن باقي البشر.

سورةِ الحشرِ: ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ شَآقُّواْ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَمَن يُشَآقِّ ٱللَّهَ فَإِنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلْعِقَابِ ﴿٤﴾.

سورةُ البقرةِ: وَقَالُواْ كُونُواْ هُودًا أَوْ نَصَٰرَىٰ تَهْتَدُواْ قُلْ بَلْ مِلَّةَ إِبْرَٰهِـۧمَ حَنِيفًا وَمَا كَانَ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ﴿١٣٥﴾.

سورةُ ءالِ عمرانَ: فَإِنْ حَآجُّوكَ فَقُلْ أَسْلَمْتُ وَجْهِىَ لِلَّهِ وَمَنِ ٱتَّبَعَنِ وَقُل لِّلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْأُمِّيِّـۧنَ ءَأَسْلَمْتُمْ فَإِنْ أَسْلَمُواْ فَقَدِ ٱهْتَدَواْ وَّإِن تَوَلَّوْاْ فَإِنَّمَا عَلَيْكَ ٱلْبَلَٰغُ وَٱللَّهُ بَصِيرٌۢ بِٱلْعِبَادِ ﴿٢٠﴾.

وهذا تأكيدٌ آخرُ من اللهِ بأنَّ الملَّةَ اليهوديَّةَ والملَّةَ النصرانيَّةَ ابتدعتْ ولم يأتِ بها الرُّسلُ وإنما هي مسمياتٌ أطلقوها هم على أنفسِهم فأبعدتهم عن دينِ اللهِ.

سورةُ ءالِ عمرانَ: وَلَا يَأْمُرَكُمْ أَن تَتَّخِذُواْ ٱلْمَلَـٰٓئِكَةَ وَٱلنَّبِيِّـۧنَ أَرْبَابًا أَيَأْمُرُكُم بِٱلْكُفْرِ بَعْدَ إِذْ أَنتُم مُّسْلِمُونَ ﴿٨٠﴾.

سورةُ التّوبةِ: ٱتَّخَذُوٓاْ أَحْبَارَهُمْ وَرُهْبَٰنَهُمْ أَرْبَابًا مِّن دُونِ ٱللَّهِ وَٱلْمَسِيحَ ٱبْنَ مَرْيَمَ وَمَآ أُمِرُوٓاْ إِلَّا لِيَعْبُدُوٓاْ إِلَٰهًا وَٰحِدًا لَّآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ سُبْحَٰنَهُۥ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿٣١﴾.

أما الآيةُ من سورةِ الحديدِ فتلخصُ لنا حقدَ وغيظَ أهلِ الكتابِ على محمدٍ عليهِ الصَّلاةُ والسَّلامُ وعلى الذينَ آمنوا واتبعوهُ، فهم يحسبونَ أنفسَهم زعماءَ أهلِ الأرضِ وبأنَّ اللهَ فضلَهم على العالمينَ تفضيلًا أبديًّا، وقد آتاهم الكتابَ من قبلِ، فكيفَ يأتي اللهُ بنبيٍّ غيرِهم ويحملُ رايةَ هذا الكتابِ ورايةَ هذا الدينِ فيُنسبُ هذا الكتاب العظيم لقومٍ غيرِهم، ولا تظنّوا بهم الخير، فليس ذلك لحبِّهم للكتابِ أو حبّهم للهِ ولكن جُلّ ما أرادوه هو

التفضيلَ فقط لا غير ، حيث الاستفادة من الكهنوت والاحتكار الدينيّ ماديًّا ومعنويًّا، من مناصب وسيطرة وحكم واستعباد للبشر.

سورةُ الحديدِ: لِّئَلَّا يَعْلَمَ أَهْلُ ٱلْكِتَٰبِ أَلَّا يَقْدِرُونَ عَلَىٰ شَىْءٍ مِّن فَضْلِ ٱللَّهِ وَأَنَّ ٱلْفَضْلَ بِيَدِ ٱللَّهِ يُؤْتِيهِ مَن يَشَآءُ وَٱللَّهُ ذُو ٱلْفَضْلِ ٱلْعَظِيمِ ﴿٢٩﴾.

ولعلَّ الآياتِ التاليةَ من سورةِ الصَّفِّ توضحُ أكثرَ ما أقصدُ:

سورةُ الصَّفِّ: وَإِذْ قَالَ عِيسَى ٱبْنُ مَرْيَمَ يَٰبَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ إِنِّى رَسُولُ ٱللَّهِ إِلَيْكُم مُّصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَىَّ مِنَ ٱلتَّوْرَىٰةِ وَمُبَشِّرًۢا بِرَسُولٍ يَأْتِى مِنۢ بَعْدِى ٱسْمُهُۥٓ أَحْمَدُ فَلَمَّا جَآءَهُم بِٱلْبَيِّنَٰتِ قَالُوا۟ هَٰذَا سِحْرٌ مُّبِينٌ ﴿٦﴾ وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ ٱفْتَرَىٰ عَلَى ٱللَّهِ ٱلْكَذِبَ وَهُوَ يُدْعَىٰٓ إِلَى ٱلْإِسْلَٰمِ وَٱللَّهُ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٧﴾ يُرِيدُونَ لِيُطْفِـُٔوا۟ نُورَ ٱللَّهِ بِأَفْوَٰهِهِمْ وَٱللَّهُ مُتِمُّ نُورِهِۦ وَلَوْ كَرِهَ ٱلْكَٰفِرُونَ ﴿٨﴾ هُوَ ٱلَّذِىٓ أَرْسَلَ رَسُولَهُۥ بِٱلْهُدَىٰ وَدِينِ ٱلْحَقِّ لِيُظْهِرَهُۥ عَلَى ٱلدِّينِ كُلِّهِۦ وَلَوْ كَرِهَ ٱلْمُشْرِكُونَ ﴿٩﴾.

وبعدَ استعراضِ ما سبقَ من آياتٍ يتضحُ لنا أنَّ أهلَ الكتابِ هم من بني إسرائيلَ وقد أنزلَ الكتابَ لنبيِّ اللهِ موسى عليهِ السلامُ الذي هو منهم واستمروا حتى بعثةِ عيسى عليهِ السلامُ، وعندما أنزلَ الإنجيلَ كان منهم من آمنَ بهِ فأصبحوا من أهلِ الكتابِ ومن أهلِ الإنجيلِ، ومنهم من لم يأخذْ بالإنجيلِ وظلُّوا فقط من أهلِ الكتابِ وقد يكون منهم من لم يؤمن بأي منهما.

واستمرَّ أهلُ الكتابِ حتى بعثةِ محمدٍ عليهِ الصَّلاةُ والسَّلامُ وما بعدَهُ.

فمن هم إذا الذينَ أوتوا الكتابَ؟